مجلة كلية
الدعوة الإسلامية
مجلة إسلامية - ثقافية - جامعة
العدد الرابع
1987

- بين داعٍ ومبشّر
- نظرية المعرفة عند مفكري الإسلام
- الألمان والقرآن
- بعض علماء النفس يعودون إلى رشدهم
- نصوص أجنبية مترجمة

الألمان والقرآن

عمر لطفي العالم

ليس من مهمة هذا البحث التوقفُ الطويل لدى كل ما كتب وقيل في هذا الشأن ، والتوغل في الجزئيات والتفاصيل . كما أن هذا البحث ليس محاولة لتنفيذ ما لا يطيق المسلم قراءته أو سماعهُ حول كتابه الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه . ففي الوقت الذي نترك فيه هذه المهمة إلى عمل آخر[1] ، نقصر الحديث هنا على رسم المناهج التي استخلصناها في أثناء قراءاتنا وترجماتنا لمستشرقين أعلام تخصصوا في الدراسات الشرقية عامة ، وصبّوا جُلّ اهتمامهم على دراسة القرآن الكريم وعلومه ،

(I) تحت الطبع ، كتابنا « أصالة القرآن الكريم » .

باعتباره المدخل الطبيعي إلى فهم حضارة أمة وعقلية قوم ، ولما يحتله ذلك الكتاب من منزلة عالية في نفوس المسلمين .

وقبل أن أصل إلى ما أريد قوله ، والنفاذ إلى خصائص وطبائع تلك المناهج، التي استنَّها أصحابها وارتضوها سبيلاً إلى فهم القرآن، أرى أولاً ضرورة التنويه إلى بعض النقاط التي لا ينبغي أن تغيب عن ذهن القارىء وهو يقلب هذه الصفحات :

أولاً : إن تلك الدراسات ـ على ما تنطوي عليه من إصابة وإخفاق ، إساءة أو إحسان ، فإنها لا تخلو والحال كذلك ، من عنصر هام يفتقر إليه كل باحث وكاتب ، ألا وهو فضيلة الكشف عن الكيفية التي يفكر بها الآخرون ، وعلى الطريقة الأمثل لنصب جسور قوية من الاتصال والتفاهم مع أمم تختلف عنا كثيراً في بناها الفكرية والنفسية واحتل فيها العقل منزلة التقديس .

ثانياً ـ إن أوروبا (المسيحية) ، لدى تبلور هذه المناهج ، في القرنين الثامن عشر والنصف الأول من القرن التاسع عشر ، كانت لا تزال في طور النقاهة ، أي أنها كانت لا تزال تعاني من آثار القمع الفكري والتسلط اللاهوتي ، فكان تعبيرها على ألسنة روادها امتداداً طبيعياً للشعور بالحنق والنقمة على الأديان عامة ، حتى وإن كان الكتاب الذي ينظرون فيه قرآناً لا إنجيلاً ، وكان الدين الذي يبحثون في مقوماته إسلاماً لا مؤسسة دينية كهنوتية .

ثالثاً ـ إن أوروبا في هذه الفترة ، كانت تعيش حالة انقسام وشتات فكري ، فهذان القرنان شهدا ميلاد أكبر وأعظم التيارات الفكرية والأدبية والفلسفية ، التي أثرت بدورها أيما تأثير ، وأسهمت كما سنرى ؛ في كثير أو قليل ، في توجيه دفة الفكر الغربي وفي بلورة المدارس الفكرية المعروفة وتحديد المواقف من الأديان أيضاً .

رابعاً ـ إن هذا التقسيم تقسيم عرفي ، أما واقع الحال ، فليس ثمة استشراق الماني وآخرُ انكليزي أو فرنسي أو هولندي . صحيح أنَّ الدارسين يُسمون بأسماء البلدان التي ينتمون إليها ، أما النتيجة التي خلصنا إليها ، فهي أن ثمة قاسماً مشتركاً يجمع بين هؤلاء على اختلاف أقطارهم ، وإذا كان ولا بد من خلاف فهو التوزع الجغرافي ، أو التناوبُ في تسيير عجلة الاستشراق ، وبعبارة أخرى ، فإنه ما

كانت تتوقف مدرسة المستشرق تيودور نولدكه في شتراسبورج عن العطاء ، حتى تبادر مدرسة هورجيونيه في لايدن بهولنده . وإذا تعطلت هذه استأنفت مدرسة دي ساسيه في باريس المسيرة . أما الموضوعات فتكاد تكون متطابقة ومن منظور واحد . إن سحنة الإستشراق لم تتبدَّ لي يوماً في عاصمة أوروبية أكثر إشراقاً منها في عاصمة أوروبية أخرى مع استثناءات بسيطة سنأتي عليها في بعض الحديث عن الرومانسية والرومانسيين .

● يجملُ بنا بادىء ذي بدء أن نثمن منزلة القرآن الكريم في نظر الغربيين ، وانطباعهم العام عنه . وليس من عبارة أفضل وللاجمال أمثل ، نستدل بها في هذا السياق من عبارة المستشرق الانكليزي دانييل نورمان[2] : « ليس للقرآن نظير في غير الدين الاسلامي . ولقد رأى فيه المسيحيون في بعض الأحيان نظيراً للكتاب المقدس . وجهلوا دائماً بأن القرآن إنما يعبر عن ذاته وكما جاء في أصله السماوي ، بحيث أنه لا يشبه وبحق أيِّ شيء كان معروفاً لدى النصرانية . ومنزلة القرآن من الإسلام قريبة الشبه جداً من منزلة المسيح في المسيحية : كلمة الله ، أي التعبير الشامل عن الوحي . والكتاب المقدس بالنسبة لأنصار الإنجيل ، سواء كانوا من أتباع المذهب البروتستنتي أو الكاثوليكي ، إنما يستمد أهميته من المسيح ، في حين أنَّ محمداً ﷺ ، يستمد تلك الأهمية من القرآن . وفي إخفاقهم إدراك تلك الحقيقة ، فقد قابل اللاتين وبإصرار شخصَ المسيح بمحمد ، وليس ما يبين بشكل أوضح المسافة الفاصلة بين الفكر الإسلامي والفكر الأوروبي ، وكل ما وقر في الأذهان هو ضرورة التصدي لمنزلة القرآن السامية ، حتى وإن لم يكن واضحاً تماماً مقدار المكانة التي تقلدتها سلطة القرآن .

● إن الحديث عن اللغات يشكل المدخل الطبيعي للحديث عن الكتاب . فالمصادر المتوفرة لدينا تؤكد على أنَّ تاريخ الدراسات اللغوية السَّامية في ألمانية يرجع على أقل تقدير إلى القرن 17 ، حيث كان في كافة الجامعات الألمانية أساتذةٌ متخصصون في هذه اللغات ، وأن مدرِّسي هذه اللغات كانوا من رجال اللاهوت ، وأنَّ اهتماماتهم إنصبَّتْ على دراسة تلك اللغات بدافع استكمال معرفتهم بشروح الكتاب المقدَّس . **وهذا الارتباط باللاهوت ، لم يُتح المجالَ**

D.NORHANN,ISLAM and The West, Edinburg 1960 (Nature of The Quran) P. 33.

194 ـــ
● يجملُ بنا بادىء ذي بدء أن نثمن منزلة القرآن الكريم في نظر الغربيين ، وانطباعهم العام عنه . وليس من عبارة أفضل وللاجمال أمثل ، نستدل بها في هذا السياق من عبارة المستشرق الانكليزي دانييل نورمان[2] : « ليس للقرآن نظير في غير الدين الاسلامي . ولقد رأى فيه المسيحيون في بعض الأحيان نظيراً للكتاب المقدس . وجهلوا دائماً بأن القرآن إنما يعبر عن ذاته وكما جاء في أصله السماوي ، بحيث أنه لا يشبه وبحق أيِّ شيء كان معروفاً لدى النصرانية . ومنزلة القرآن من الإسلام قريبة الشبه جداً من منزلة المسيح في المسيحية : كلمة الله ، أي التعبير الشامل عن الوحي . والكتاب المقدس بالنسبة لأنصار الإنجيل ، سواء كانوا من أتباع المذهب البروتستنتي أو الكاثوليكي ، إنما يستمد أهميته من المسيح ، في حين أنَّ محمداً ﷺ ، يستمد تلك الأهمية من القرآن . وفي إخفاقهم إدراك تلك الحقيقة ، فقد قابل اللاتين وبإصرار شخصَ المسيح بمحمد ، وليس ما يبين بشكل أوضح المسافة الفاصلة بين الفكر الإسلامي والفكر الأوروبي ، وكل ما وقر في الأذهان هو ضرورة التصدي لمنزلة القرآن السامية ، حتى وإن لم يكن واضحاً تماماً مقدار المكانة التي تقلدتها سلطة القرآن .

● إن الحديث عن اللغات يشكل المدخل الطبيعي للحديث عن الكتاب . فالمصادر المتوفرة لدينا تؤكد على أنَّ تاريخ الدراسات اللغوية السَّامية في ألمانية يرجع على أقل تقدير إلى القرن 17 ، حيث كان في كافة الجامعات الألمانية أساتذةٌ متخصصون في هذه اللغات ، وأن مدرِّسي هذه اللغات كانوا من رجال اللاهوت ، وأنَّ اهتماماتهم إنصبَّتْ على دراسة تلك اللغات بدافع استكمال معرفتهم بشروح الكتاب المقدَّس . **وهذا الارتباط باللاهوت ، لم يُتح المجالَ**

D.NORHANN,ISLAM and The West, Edinburg 1960 (Nature of The Quran) P. 33.

194 ـــ

لحركة الاستشراق خلال القرنين السابع والثامن عشر كي تتحول إلى إنجاز علمي ذي قيمة مستقلة . وانطلاقاً من هذا الاستنتاج ، يمكن أن نفهم بأنّ الدراسات العربية والقرآنُ الكريمُ في مقدمتها خضع لنفس المقاييس السائدة في أوروبا إبان الحقبة ذاتها . ويمكن أن نستخلص كذلك ، بأن تقييم المتأخرين لدراسات اللاهوتيين منذ بداياتها ، أي منذ عام 1142 ، كان يقوم على تجريد تلك الدراسات من أي صفة علمية . وهذا الرأي ـ على علاته ـ يصل بنا إلى رسم ملامح أقدم منهج فرض نفسه على ألمانيا وعلى أوروبا بشكل عام وكان مسقط رأسه في اسبانيا .

ـ التبشير ـ

على الراجح ـ كما يروي بعض المؤرخين[3] ـ أن فكرة التبشير ، هي التي حفزتْ الكنيسة على التعامل مع القرآن الكريم واللغة العربية : فكلما بَهَتَ الرأي القائل بتحقيق الانتصار النهائي بقوة السلاح ، تبَّدى جليّاً ، بأن احتلال الأرض المقدسة لم يؤدِّ إلى (هدي المغاربة) ، بل العكسُ من ذلك هو الذي كان يحدث ، إذ إنّ ثقافتهم ، عاداتهم ، طرق معاشهم ، كانت تفرض نفسها على المحاربين الصليبيين ، كما رفع الآملون عقيدتهم بالتغلب على (المذهب الديني المزيَّف) . وهكذا فقد ظهرت أول ترجمة لاتينية للقرآن الكريم في عام 1143 ، وكان صاحبها بطرس فينيرابيليس (1092 -1094 أو 1157) . إن الأب كلاني Cluny ، الذي وضع عصا الترحال في اسبانيا عام 1141 ، لم يقم بإنهاء الخلاف بين الملكْ ألفون ، ملك كاستيليان وألفون الأول ملك أراجون ، بل وجد كذلك الفرصة سانحة للتعرف إلى أوجه الخلاف بين الاسلام والمسيحية ، وإلى المعارك بين المغاربة والاسبان وبين روح الريكونكويستا [4] Reconquista والسياسة الدينية للموحدين الذين وجهوا ضرباتهم ضد اسبانيا في تلك السنين . وكان من شأن ذلك أن تولّدت لديه القناعة ، بأنَّ من واجب « المرء[5] أن لا يقابل الهرطقة (المحمدية) بعنف السلاح الأعمى ، بل عليه مقاومتها بقوة الكلمة المقنعة للمحبة المسيحية » . إلا أنه اشترط في سبيل ذلك المعرفةَ المتعمقة بفكر الخصم . وهكذا

---

(3) Fûck. J, Arabische Studien in Europa, Leipzig

(4) 1492 -750 من التاريخ الاسباني « العودة إلى تحرير شبه جزيرة البيرنيه (أطلس) Reconquista .

(5) A. Studien P. 67- 68.

وضع الخطة لترجمة القرآن إلى اللاتينية . وفي عام 1543 ، قام الأب تيودور ، وهو صاحب دار نشر بإعادة طبع ترجمة روبرتوس كينيسيس في مدينة بازل بسويسرا .

إن المستشرق الالماني يوحان فوك ، يعزو عدم التوسع في ترجمة القرآن الكريم إلى اللغات الأوروبية إلا في وقت متأخر جداً ، أي ابتداء من مطلع القرن 16 إلى حرص[6] المسلمين على عدم وقوع القرآن الكريم في يد كافر باعتباره شيئاً مقدساً لا يجوز لمسه إلا بيدين طاهرتين . وهكذا فلم يُصار إلى الترجمة الألمانية للقرآن عن الايطالية إلا في عام 1616 على يد يهودي يدعى شالومون شفايجر . تجدر الاشارة هنا إلى أنّ الألمان الذين وجهوا في هذه الأثناء وما قبلها عناية فائقة إلى اللغة العربية وعلومها ، وعُنوا[7] بتحقيق المخطوطات العربية وفهرستها ، ونظموا المعاجم اللغوية GLOSSARIUM ، لم ينظروا بعين الارتياح أبداً إلى ترجمة روبرتوس .

ولكي لا نخرج عن دائرة البحث ، فإننا سنكتفي هنا بالإشارة السابقة حول مجهوداتهم تلك ، مع التنويه إلى أن تلك العناية المتشدِّدة بمسألة اللغة العربية وقرباتها من الأسرة السامية (العبرية والآرامية) ـ حسب اجتهادهم ـ لم ترق لمستشرقين آخرين . فهذا المستشرق جورج ياكوب على سبيل المثال ، يصبّ جام غضبه على المتقعرين في اللغة ، المنقبين في أصولها وجذورها ، واصفاً إياهم بنعوت وأوصاف يستحي المرء من ذكرها[8] .

ومن وجهة نظرنا فإن ذلك (التعقر) كما جرت العادة على تسميته ، كان له ما يبرره ولم يأتِ من فراغ . فتهمةُ (الزيف) التي افتراها اللاهوتيون على الرسول المصطفى ﷺ وعلى القرآن المجيد ، لاقت هوى في نفوس اللغويين ، ولم يتبق عليهم إلا التمحيص في عضوية العلاقة بين اللغة العربية ولغات الشرق الأقدم اللتين نزل بهما العهدان القديم[9] والجديد ، ونعني اللغتين الآرامية والعبرية لينفذوا بعد ذلك إلى فرية العصر .

---

(6) المصدر السابق ص 69 .

(7) Brcckelmann . Mongentandische Studien in Deutschland, P.3 V 76/ 77 1922/ 1923.

(8) مجلة فكر وفن العدد الثامن السنة الخامسة (ص 100) .

(9) OLD AND NEW TASTEMENT.

العقلانيون (منهج الدراسات المقارنة)

لا أدري كيف غابت هذه النقطة عن أذهان كثير من الباحثين ، فلم يولوها ما تستحق من عناية ويقظة وحذر . ولعل أساتذة مادة الآداب والأديان واللغات المقارنة في الجامعات والمعاهد العربية أحق من غيرهم في كشف النقاب عن ملابسات هذه المسألة الخطيرة .

إنَّ أبناءنا الدارسين لهذه الاختصاصات ، يلقنون على نحو غير مباشر تبعيةً ثقافية ، من ذلك على سبيل المثال ، كثيراً من القصص القرآني على أنه أدب وأساطير (Fables) تنحدر من أصول هندية وفارسية . . ، وهذا أول شرط من شروط قانون المنهج المقارن ألا وهو (القِدم) . !

ولقد وقع بعض كتابنا الأوائل عن حسن نية في خطأ هذا التصور[10] ، وفي وقت لم يتبلور فيه هذا العلم ، ولم يستكمل فيه شكله النهائي بعد ، ولم يُعتمد كعلم يُدرَّس دراسة أكاديمية . إنَّ القاعدة القائلة ، بأنَّ الحضارة الانسانية ، هي ثمرة جهد بشري مشترك ، يؤثر الواحد منها في الآخر ، هي قاعدة صحيحة لا يرقى إليها شك . لكنَّ نزول الوحي على قلب أميٍّ في وادٍ غير ذي زرع ، لم تهبَّ على شعابه تيارات بهذا العمق وتلك الاستطالة ، هو حقيقة مقابلة فثمَّ تأكيد « على أنَّ الوجود البشري كوحدة تاريخية لم يَعد مقبولاً من العلم الحديث »[11] .

كان لا بد من هذه المقدمة لإلقاء مزيد من الضوء على طبيعة هذا المنهج ، تاريخه ومجالاتِ تطبيقه . فنحن ـ كما يبدو لي ـ أمام ملابسة ينبغي النظر إليها بكثير من الرَّوية والهدوء : هذا المنهج الذي طُبق على القرآن الكريم ، لغة ، وتاريخاً ، وأدباً ، وأسلوباً ، رسماً وكلمة ، ما هو تاريخه ؟ وأين مولده ؟ ومن هو مكتشفه ؟ وماذا كان الهدف منه ؟ نترك الحديث للمستشرق بروكلمان يحدثنا عن ذلك بنفسه[12] : إن مؤسسي فقه اللغة السانسكريتية في المانيا لم ينطلقوا بالطبع من مقاعد الدراسة المنتظمة في المعاهد الألمانية العليا . فلقد قاد إلحاح الرومانسية

---

(10) أمين ، أحمد ، فجر الاسلام ، الصفحة الثالثة .

(11) H.BECKER, Islam in Rahmen einer allgemeinen Kultur Geschichte Z.D.M.G. من محاضرة للمؤرخ أرنست ترولتش في مؤتمر المستشرقين الألمان بمدينة لايبزج 30 سبتمبر 1921 .

(12) Brochelmann P.3

الأخوين شليجل (Schlegel) في بحثهم عن الأصول الأولى لتاريخ البشرية ، قادهما إلى الدراسات الهندية . تلقى أحد الأخوين (فريدريك) خلال سنتي 1803 /1804 جانباً من السنسكريتية على يد ضابط بحرية انجليزي أسير يدعى هاملتون في مدينة باريس . إلا أنّ كتابه حول اللغة والحكمة الهنديتين ، الذي قام بنشره بعد أربع سنوات من ذلك التاريخ ، لا بد وأن استقى جذوره من الترجمات القديمة . أما أخوه الأكبر آ . ڤلهلم ، فقد درس في مدرسة بمدينة جوتنجن (المانيا) ، المناهج المتشدِّدة للغات الكلاسيكية قبل أن يُستمال لفائدة دراسة الحكمة لدى الهنود عن طريق كتاب أخيه فريدريك ، إلا أنّه لم ينسقْ خلف تلك اللغة إلا في باريس من قبل مواطن آخر يدعى (بوب) ، ليصبح بذلك أولَ استاذ على الاطلاق للغة السنسكريتية عام 1818 في مدينة بون بألمانيا . وقبل أن يذهب بوب إلى باريس في عام 1812 بقصد تعلم اللغتين العربية والفارسية على يد دي ساسيه ، كان لم يَزُرْ في وطنه أي جامعة ، لكنه توجّه لتعلم اللغة السنسكريتية تعلماً ذاتياً . إن المنهج المقارن الذي يعتبر واضعه الأول ، والذي طبعه على هذه اللغة ، مكنه بشكل غير مباشر من الحصول على نتائج باهرة جدًّا ، وبه أصبح أستاذاً لا يدانى » . انتهى كلام بروكلمان .

رُبَّ سائل : وما علاقة ذلك بالقرآن الكريم ؟ ونجيب : إن منهج الدراسات المقارنة يتحدث عامة حول العناصر المشتركة أو الموازيات (Paralell) بين أدب وأدب ، ولغة ولغة ، ودين ودين (فيما بعد) ، عن أوجه الشبه موضوعاً وشكلاً أو أسلوباً . ولقد تزامن هذا الاكتشاف تقريباً مع الإقبال المحموم على اللغات الشرقية ، فكان بمثابة آلة البحث الدالّة ، التي أوصلتهم إلى جملة من الاستنتاجات الخطيرة ولا نقول الصحيحة . . !

أولى هذه النتائج أو الثمار ، ظهرت في الفكر الألماني على يد باحث (يهودي) يدعى ابراهام جايجر في كتابه « ماذا اقتبس محمد عن اليهودية[13] ؟! » . ولما قرّرنا منذ البدء بأننا نرسم مناهجاً ولا ندخل في تفاصيل ، فإن ثبت الموضوعات كفيل وحده بأن يلقي ضوءاً كافياً على مضمون الكتاب :

---

(13) Geiger. Abraham, was hat Mohammad aus dem Iudentum aufgenommen, 2 re- vidievte auf lag, Leip zig 1902.

« وقد حاز هذا الكتاب على جائزة الدولة للجامعة الملكية في بروسيا » .

1" ـ أراد ، تمكن، فكيف تمكن؟ وسُمح فكيف سمح لـه بـأن يقتبس من الموسوية؟

2" ـ اقتبس محمدٌ عن الموسوية فماذا اقتبس ؟ .

3" ـ ما يخص اليهودية وأفكارها المدرجة في السياق القرآني : آ ـ المفاهيم ب ـ الانطباعات جـ ـ المعتقدات د ـ العادات والوصايا هـ ـ الآراء العامة عن الحياة .

4" ـ القَصصُ القـرآني : آ ـ من الآبـاء الأولـين حتى ابـراهيم . ب ـ ومن ابراهيم حتى موسى .

5" ـ موسى وعصره .

6" ـ الملوك الحاكمون لسائر بني إسرائيل .

7" ـ التديُّنُ بعد سليمان .

أَظنُّ أن في مستطاع القارىء الآن ، وبعد اطلاعـه على محتـويات الكتـاب ، خاصة منه الفقرة (4)، الرَّبطُ جيداً بين ما كنـا ننوي كشف النقـاب عنه من تـطويع منهـج الدراسـات المقارنـة ، واستخدامـه استخداماً ماكـراً بدءاً بـالقصص القرآني وانتهاءاً بالكتاب جملة لفائدة الخطة المحكمة في تفنيد أصالة القرآن الكريم .

● إن كتاب اليهودي المذكور يعتبـر بحق أسوأ بـادرة ، كان من شـأنها تعبيد الـطريق أمام سيـلٍ لا يكاد ينضب من الـدراسـات التي تضـرب عـلى نفس النغم والوتيرة . ولقد شاءت الصدف أن نكون شهـود عيان عـلى مناقشـة رسالـة دكتوراه (حـول القرآن) في عـام 1982 الشهر الثـامن بجامعـة كولـونيـا[14] . ولقـد لجمت المفاجأة ألسنتنا حين لم نلاحظ فرقـاً بين مـا طرح من أفكـار في هذه الرسالة وبين ما كتب في نفس الموضوع قبل 150 سنة . ولقد خاب ظننا حين توهمنا بأن (خطورة) القرآن الكريم على الغرب من كثرة ما كتب حوله من دراسـات أصبحت في نظرهم أمـراً لاغياً ، إلا أنَّ هـذا الموقف عـاد لكي يرسخ من قناعتنـا بأنَّ الحمـلات ضـد المسلمـين لن تتوقف وأن هـذا القرآن سيـظل مستهدفـاً إلى أبد الآبـدين . . ! ومنذ ظهور ذلك الكتاب ، توسعت دائرة البحث وأصبح المصدر الذي يشار إليه دائماً .

---

(14) Die Welt. Z. Nr. 169, 24 Juli 1982

وقد نشرت في هذا العدد دراسة حول الرسالة المذكورة بقلم هارالد فوكه .

ولم تعد فكرة (الأخذ) تقتصر على الموسوية بل وعلى المسيحية وغير المسيحية . .

إن عدد الدراسات التي نشرت في هذا الاتجاه ، في الدوريات والكتب والصحف ، وبكل اللغات الحية ، يفوق كثيراً كل تصور . لقد كانت بعبارة جامعة مسحاً شاملاً للقرآن الكريم كله : الحرفِ والكلمةِ ، والمعنى والتركيب . القصة والنحو والأسلوب ، العقيدة والتشريع ولك أن تضيف إلى هذه القائمة ما شئت من موضوعات يتضمنها القرآن الكريم . ولعل الأهمّ هنا ، أن البحوث ضربت رقماً قياسياً ، بحيث أثارت حفيظة أقلام أخرى فردّت على عدم جدوى هذا الأسلوب ، واقترحت بدائل عنه . يقول المؤرخ المستشرق يوحان فوك : « . . إلا أنه كلما ازدادت المحاولة على تأييد هذا الارتباط (يعني عملية الأخذ المزعومة) ، كلما أضاع البحث العلمي الخط العام واكتفى في الختام بمحاولات جديدة متكررة تجاه كل صغيرة وكبيرة في القرآن ، سواء كان ذلك فكرة دينية ، تصوراً ، تعبيراً ، وصية ، أقصوصة ، كما لو كان في الامكان تقسيم كيان الرسول وتجزئته إلى ألوفِ الأجزاء »[15] . ولقد عارض هذا التصور قبله المستشرق تور أندريه (Tor ANDRE) : « إذ احتج ولخص مهمة الكشف عن النبوة والرسول ، في كيفية توصل الرسول إلى توليف حوافز البيئة وعدد من العناصر مختلفة الأنواع في عمل أصيل قابل للحياة »[16] . وهذان الاعتراضان يقودان إلى منهج ثالث :

« المنهج التاريخي »

في هذا السياق نأتي على ذكر ثلاث شخصيات ، ارتضى أصحابها التاريخ سبيلاً إلى فهم طبيعة الرسالة الاسلامية وتحليل شخصية الرسول ﷺ ، وذلك بتسليط الضوء على حياة الداعية وتاريخ المنطقة مهبط الوحي وأرض الرسالات . وكما أجمع النقاد الغربيون على اعتبار كتاب (جايجر) أساساً لفهم القرآن الكريم في ضوء الدراسات المقارنة فقد أجمعوا هذه المرّة أيضاً على اعتبار كتاب (تاريخ القرآن) لمؤلفه تيودور نولدكه[17] مصدراً لا غنى عنه لكل النقاد والباحثين . وأننا إذ نتفق

---

(15) F.Johann Originalit des arabischen Propheten, Z.d.M. B. 90 1936/ 1937.

(16) Ton, Andre, Mohammad, Sein Leben and Seine Glaube Göttingen 1932.

(17) N. THEODOR, BEiTRÄGE Zur Semetischen Sprach wissen Schaft, Strassburg 1910 p.1,5. 23 UND GESCHICHTE DES QURANS.

مع هؤلاء الكتاب حول الأهمية التي يحتلها كتاب نولدكه في تلك الأوساط ، فإننا نختلف معهم جوهرياً في قيمة الكتاب وأهميته العلمية بموازيننا الاسلامية .

ورأينا هنا ـ وهو على أية حال رأي العربية والاسلام ـ لم يصدر عن فراغ . فلقد عبّر المؤلف عن (معرفته) باللغة العربية بسلسلة من المقالات طبعت في كراسة مستقلة تحت عنوان : « مساهمات جديدة في علم اللغات السامية ». أما الموضوعات المدرجة فهي آ ـ القرآن والعربية ب ـ خواص لغة القرآن في أسلوبه ونحوه جـ ـ العسف وسوء الاستعمال لغريب القرآن . والعجيب في هذه الدراسات الثلاث ، أنه في الوقت الذي يقر به ويعترف بعجز غير أهل الضاد على مجاراتهم في لغتهم ، يعود فيعزو خطأ الشارحين المسلمين للكتاب إلى التعصب الديني : « كيف لنا نحن الذين نعاني من مشقة هذه اللغة ـ أن نناقش قوماً أشد ما يكونون عنا بعداً عقلياً ، وأن نعايش شعباً قديماً ، رضع الحس اللغوي في لبن أمه ، وعلماء ـ بغض النظر عن انتماءاتهم الوطنية ـ عاشوا بين العرب ونذروا حياتهم لدراسة اللغة العربية ؟ إلا أنَّ المأخذ الوحيد الذي نسجله عليهم جميعاً ، هو عدم التجرد والنزاهة تجاه الدين »[18] . ويستطرد بعد ذلك وعلى نفس الصفحة قائلاً : « وفي مقابل ذلك ، فقد ربينا نحن في المدرسة على روح النقد العلمي » .

● إنَّه لقول جميل حقاً ولا يخلو من حكمة ! إلا انني أسجل في نفس الوقت ، وبنفس الأمانة وروح النقد العلمية التي تحدث عنها ، بأن الدكتور نولدكه ، لا يملك الحس اللغوي نحو العربية ، وأنه وإن كان ملماً بها ، لكن الماماته ضعيفة إلى درجة الجهل بأبسط الأشياء وأسهلها .

أما رأينا كاملاً في قضية اللغة فنضمنه في بحث مستقل ، وأما منزلته وشهادة الآخرين من أبناء الغرب فيه ، فإليك ما قاله عنه المستشرق الهولندي سنوك هورج يونيه : « . . بنظر ثاقب وفكر المعي ، ذاكرة قوية وذكاء وقاد ، مكنته أن يشق طريقه بسرعة في كل ميدان ، وفي إدراك الجوهر وتشخيصه بوضوح وأحكام . فقد أنجز نولدكه في ميادين البحث المتسعة هذه ، كلغوي وباحث ، كمؤلف ومترجم ، كنحوي وناقد مثل هذا القدر من العمل القيم ، بحيث نظر إليه على أنه

---

(17) المرجع السابق .

(18) نفس المصدر السابق .

أعظم مستشرق إلماني في زمنه . وإلى جانب ذلك فقد امتلك ـ وهو أمر نادر الوقوع بين العلماء ـ موهبة إلهية لمحاكمة إنسانية سليمة وبقدر وافٍ لفنّ التواضع . وكموقف إيجابي منه لعصر النقد التاريخي ، فقد تمتع بميل مناهض لا ضد الرومانسية والتصوف والاحساس الغامر الغامض بشتى ضروبه ، بل ضد كل ما هو تأملي ، كائناً ما كان ، فلسفة ، أو عقيدة ، أو أفكاراً تاريخية أو علوماً نظرية »[19] . انتهى قول المستشرق .

وبالرغم من تعدد (مواهبه) ، وصرف جلّ اهتمامه إلى العناية باللغات ، فإن الإطار العام الذي نستعذب وضعه فيه هو التاريخ . لقد حرص الناقدون على إعطائه صفة العقلانية (Rationalist) . لكن الحكم الأخير على عمله (تاريخ القرآن) جاء على لسانه لا على لسان شخص آخر . فقد صرح الدكتور محمد حسنين في مجلة (فكر وفن) ، لما نعت جامعة تيوبنجن المستشرق الكبير : « لقد كان مستشرقاً عظيماً ، وكان أعظم ما فيه تراجعه ، فحين عزم المستشرق SCHWALLY على طبع هذا الكتاب، وطلب من نولدكه تنقيحه، رفض لأنه لم يكن راضياً عن عمله وكان في حيرةٍ من شخصية الرسول الغامضة . . » وفي هذا القول إشارة كافية.

إن التصور التاريخي للحكم على مقدار مصداقية القرآن الكريم من عدمها ـ من وجهة نظرهم بالطبع ـ ربما تجسّمت وبشكل أفضل في عملي المستشرقين رودي بارت ويوحان فوك . الأول في كتابه (محمد والقرآن)[20] والثاني في بحثه المكثف « أصالة النبي العربي »[21] . ويمكن أن نوجز الخطوط العامة لمنهج الكاتبين فيما يلي :

البيئة : صدّر المؤلفان كتابيهما بمدخل هام يكشف مقدماً النية المتبينة لما يتبع ذلك من استنتاجات . فقد أعطوا الجاليات اليهودية ومستوطناتها في الجزيرة العربية (تيماء ، فدق ، خيبر ، وادي القرى والمدينة) والجالية المسيحية في سورية ومصر وفلسطين !! حجماً لا تستحقه في التأثير على العقلية العربية والبيئة الجاهلية .

---

(19) Fûck. d. Orig, P.510

(20) P.Rudi, Mohammad und dev

(21) Koran, fuñfte Auflage 1980 Kôln

وبالرغم من أن اليهود كانوا مندمجين في الحياة البدوية ، إلاَّ أنهم لم يتحللوا من ولائهم لديانتهم . فقد كان في يدهم كتابهم المقدس ، التوراة ، الذي لم يكن مترجماً إلى اللغة العربية بعد ، أي أنه كان لا يزال يُقرأ بلغة أجنبية ، وكانت لهم طقوسهم وشعائرهم المقدسة التي كانوا على وعي بها . فلا بد وأن اليهود قد مارسوا على معاصريهم العرب تأثيراً مزدوجاً ، من ناحية اللغة التي كانوا يتكلمونها ودورهم السياسي الذي لعبوه . أما ما يخص المسيحيين فقد قلل من دورهم ، ونفى أن يكونوا ممثلين للكنيسة البيزنطية لأنهم كانوا من الأيوسين (Nestorians) ، أي من غير القائلين بالطبيعة الثلاثية للسيد المسيح (Trilitât) . « أما عن التصورات الدينية التي سادت البيئة العربية قبل ظهور الاسلام ، فإن معلوماتنا عنها معلومات طفيفة . فلا النقوش ، ولا الروايات التي نقلها الينا اللغويون والمؤرخون تقدم لنا نظرة حقيقية عن الحياة الدينية في ذلك الوقت المبكر »[21] .

لقد اعتمد المؤلف في ملاحظاته على المعلومات التي قدمها القرآن الكريم عن أسماء الأصنام في الجاهلية . لكنَّه ركّز على أن كلمة إلٰه تقابلها كلمة ELÔh بالعبرية ، وإن لفظ الله جرى على لسان العرب أكثر مما جرت على ألسنتهم كلمة (هُبل) . إلا أنَّ هذا اللفظ لا يلغي تعلق العرب بآلهتهم (أصنامهم) في حياتهم اليومية . ولعل كثيراً من الآيات القرآنية تؤكد على هذا المعنى وتثبت صحته . وإن هذا الإلٰه إلٰهٌ لمكة (رب البيت) ، كما أنه ربُّ العالمين .

وثمة تصور آخر يضاف هو الآخر إلى هذا التصور ، وهو ما ورثه العرب عن آبائهم من مفهوم التوحيد ، من (الحنفية) دين سيدنا إبراهيم عليه السلام . لكن الحقيقة التي تظل قائمة ، هي أنَّ فكرة التوحيد لم تتبلور في العقلية العربية وأنه كان توحيداً بدائياً .

الشعائر : (الحج ، الأرواح والسحر ، البدو والمدن ، الزعامة والرعية) :

وهذه العناصر أيضاً كانت تشكل في رأي المؤلف الملامح العامة للبيئة العربية الجاهلية . ولسنا في حاجة لإعادة إملاء ما درسناه منذ نعومة أظفارنا عن حياة العرب . ذلك أن ثقافتنا بتاريخ أمتنا يفوق كثيراً ما يعرفونه عنها . وإذا اقتصرت معرفتهم على الجانب التاريخي المنقول ، فإن مصدراً تاريخياً غنياً

(21) المرجع السابق.

بالمعلومات يبقى طوع أيدينا وبعيداً عن متناول أيديهم . وهذا المصدر هو النصوص الشعرية التي رسمت بدقة لا تدانيها دقة ، وبراعة لا تساويها براعة حياة العرب وأحلامهم، قيمه ومفاهيمه . وإن ترجمات التراث الشعري العربي إلى لغات أخرى ـ على أهميتها ـ لم ولن تستطيع تقديم الصورة الصادقة التي تنطق بلسان البيئة وتعبر عن الفكر والوجدان العربي . وإذا كانت منهجية البحث لا تسمح الآن بالوقوف على هذا الجانب لكشفه وتعريته وتبيان عوراته ومثالبه ، فإن الاتفاق شبه كامل على أن أحاسيس قوم لا تتحقق بالتلقين وحده ، إنها ليست المهمة الموكولة إلى العقل والنطق والسمع فقط ، بل مهمة مغيبة تبدأ والانسان جنين في بطن أمه[22] .

« الربط التعسفي بين المقدمة والنتيجة »

والسؤال الكبير الذي نطرحه على أنفسنا : هل القرآن الكريم ترجمةأمينة للحياة الجاهلية ؟ وهل الكتاب ـ كما يزعمون ـ امتداد لقيم وعادات وطقوس وشعائر وأنظمة قبلية كانت سائدة في الاسلام ؟

هل أن وجود أوجه شبه أو إلتقاء بين مظهر أو أكثر من مظاهر العبادة ، أو الأمور الغيبية ، أو الحدود ، أو وجود بعض نقاط الالتقاء بين الوعاء اللغوي لمعاني القرآن وأسلوب العرب في الشعر أو النثر ، بوجود غريب القرآن ، أو في التصورات التي جاءت بها الديانتان السماويتان ، يؤدي بالضرورة إلى حتمية القول بوجود تأثير للبيئة في النص القرآني ؟ وهل يحملنا هذا التشابه ـ إن وجد ـ على الاعتقاد فيما أسموه عملية أخذ أو اقتباس أو نقل أوموازيات (Paralell) ، كما حاولوا الوصول إليه ؟ أم أن للمسألة وجهاً آخر ، وتفسيراً مختلفاً غير هذا التفسير الذي يسعون ومن وراء إلى قطع الصلة بين الأرض والسماء ، والوحي والداعية ، وعلى رد الاسلام جملة وتفصيلاً إلى أصول أخرى ، مسيحية مّرة ، يهودية تارة ، وثنية أو حنفية ، أو قبلية أو إلى أمور تقريرية هي من بنات أفكار الرسول ﷺ ؟!

إن الإسقاط التاريخي الجبري ، والعلاقة الجدلية بين النتيجة والسبب ، هما الأمران المرجوُّ إبرازهما من هذا العرض ، وهما الكفيلان أيضاً بالحصول على ردود

---

(22) دراسة علمية جديدة عن حياة الجنين (مجلة الام والطفل باللغة الالمانية 1986 .

منطقية بعيداً عن العاطفة والانفعال .

لقد تصدى علماء المسلمين بكثير من الحماس للشبهات التي أثارها المستشرقون حول القرآن الكريم ، لكن السؤال الأهم بقي معلقاً : كيف فكر أولئك ؟ وما الذي حملهم على تقديم تلك التفسيرات ؟ هل نمسك بآخر الخيط أم بأوله . لقد كان الخصم خبيثاً ماكراً حين قرر ، بأن لا سبيل إلى معرفة هؤلاء القوم ـ المسلمين ـ إلا بعد فهم كتابهم . وأنا أقول : إنه ما من خيار للرّد على هؤلاء قبل التعرف على مناهج عملهم .

لقد ربطوا ربطاً تعسفياً بين المقدمة والنتيجة ، وطبقوا منهجاً علمياً لا يصح أن يطبق على القرآن الكريم كما طبق على اللغات والآداب الأخرى . لا لأنَّ القرآن ليس كتاباً فيه اللغة والكلمة والقصة والبيان ، بل لأنَّه نسيج وحده ، تشابُكُ لا يجوز فهم جانب منه بمعزل عن جانب آخر ، ولا تعتيم نصٍّ ، بقطعهِ وبتره عن سياقه الأصلي ، فالكلُّ مرتبط إرتباطاً عضوياً ويتعذر فهمه إن لم يوضع في إطاره العام . إنه ـ ولا شَبهَ ـ كقطعة الفسيفساء لا يستقيم لها جمال ما لم ترص أجزاؤها ، كل أجزائها إلى بعضها . ولكي لا نخرج عن صلب الموضوع لننظر إلى عملية الربط أو العسف الذي وقع :

● فكرة التوحيد عند العرب لم يأت بها الرسول ﷺ . بل كانت موجودة قبلهُ وترجع إلى دين ابراهيم . وكذلك لفظ الله وربُّ البيت . وأما الأصنام فلم تكن آلهة تعبد ، وإنما هي لجلب الحظ والسعد . وفي هذا نلتقي ونختلف .

● والتوحيد في السور الأولى لا يلعب دوراً رئيسياً ، وليس المقصود من عبارة (لا إله إلا الله) إلهاً جديداً . والله هنا نوع من التوحيد البدائي ، أي الخوف والنجاة الذي وجده بعضهم في الموسوية أو المسيحية . (ولهذا لا يوجد له سند) .

● ودعوة التوحيد كانت تغلب عليها في البداية الصبغة القومية . والكبرياء العربية هي التي جعلت الرسول يشدد النكير على الكتابيين ، وإن هذا النوع من التوحيد هو الذي جعله ينكر براءة الكتابين التوراة والانجيل من التحريف .

● والصبغة العربية غالبة أيضاً على أوائل السور المكية ومن مظاهرها :

آ ـ الهجاء : (لأبي لهب) .
ب ـ التجارة (لايلاف قريش) .
ج ـ عاد وثمود وإرم .
د ـ فصلِ لربّك وانحر . (النحر) الكوثر : الآية (2) .
هـ ـ ومن العرب أنفسهم ، جاء الاعتراض (شاعر ، ساحر ، كاهن ، مجنون) ، وسجع الكهان .
و ـ أسلوب القسم القرآني يوازي القسم في الجاهلية .
ز ـ وصف الجنة والنار يحمل ملامح وصفاتٍ عربية خالصة .

● والزعم بصحة الدعوة ، حمل الرسول على القول : بأن لكل أمة كتابا ينزل بلغتها ، ولكي يؤمنوا به ـ هكذا يقول . ، فقد ذكّر العرب بمصير المكذبين في الأمم البائدة ، ويرى أنّ النظرية الدورية (لكل أمة كتاب) ، ليست مقتبسة من اليهود ولا من النصارى وإنما من المجوسية وخاصة من ماني ودون أن يترك أي أثر (أي الرسول) . وهنا نرى المؤرخ قد شطّ شططاً كبيراً فتجاوز الاقليم والبيئة إلى بيئات أخرى فأي اتصال هذا ؟

● وأفكار التوحيد والبعث والحساب ، كانت موجودة في الحنفية . وأنّ المصطلحات الدينية ذات الأصل غير العربي ، تأتت في معظمها من الآرامية التي كانت لغة الحضارة العالمية السائدة في الشرق الأدنى قديماً ، وكانت مستعملة بنفس القدر من قبل سائر المجتمعات الدينية . هذا عدا بعض المصطلحات الحبشية التي تسربت إليه عن طريق الرقيق المسيحي أو التجار الأحباش . وحول هذه المصطلحات ، لا بد وأن كانت في حوزة الحنيفيين عدد من المصطلحات ، وذلك ما تؤكده السورة 53 (37 -54) . وفيها أيضاً ذكر لقصة عاد وثمود . ومن هذا المنطلق ـ هكذا يرى ـ كتب الرسول قصته . وهنا أيضاً أسموها أساطير الأولين .

● لقد اعتمد على عدد من الأساطير التوراتية ، لكن العناصر المسيحية ليست هي الغالبة ، والذي يغلب هو الأساطير العربية حول النبي صالح وشعيب وهود التي لا يمكن إثباتها في المصادر العربية قبل الاسلام ، والتي لا يرجع الفضل في وجودها بالتأكيد إلى (ومضة من ومضات الرسول) ﷺ . بل إلى مصادر عربية قديمة . ولقد بادرها الرسول وأتاها من جميع جوانبها ، وهكذا يقابلنا ، إلى

جانب صيغ الأسماء التي تحمل الطابع الآرامي ، تلك التي تشير إلى أصل حبشي أيضاً . مرّة تحمل تعبيراً مسيحياً وتارة يهودياً . ولم يكن هدفه من ذلك التسليةُ ، بل حمل الجالية الكتابية على الايمان بصدق عقيدته وإلى جعلها صالحة للتمشي مع الواقع الحياتي . وهي تحذر من يوم الحساب ، وعذاب النار المؤبد . وهذا القصد الأخير هو الذي يبين ميزات أسلوب (أساطير العقاب) ، وقصرها ، والتي تكتفي في الغالب بالتلميح ، وقلة التفاصيل ، والتكرار الممل . ومن هذا نستخلص أن الأساطير التوراتية لا تلعب في الوحي القرآني سوى دور طفيف ، ولا يمكن أن تكون بحال من الأحوال دليلاً على وجود صلة ، وأنَّ الرسول كان على قناعة ببعض المواضع الدينية ، اليهودية والمسيحية : « آمن الرسول بما أنزل إليه من ربه . . . الآية » 285 البقرة .

● وكان الرسول يأمل في أن يُعترف به كنبي من اليهود والنصارى ، وهذا سر التطابق بين المضمونين . فالفترة المكية الثانية تكشف النقاب عن وجود إلمامه واسعة بالأساطير اليهودية . وفي هذه الفترة يرسل بعض أصحابه إلى الحبشة المسيحية ، وخلال الفترة المكية الثالثة يبدأ باقتباس الأنموذج التعبدي للأديان القديمة في العبادات الظاهرة (الصوم ـ القبلة ـ والصلاة) .

● ويقيم المؤلف الفترة المدينة تقييماً عجيباً : هناك تتلاشى آمال الرسول ﷺ ، ويؤلمه الرفض الذي قابله به اليهود أيما إيلام . لقد كان ضربة قاصمة إلى تعاليمه . ولقد ردَّ عليها ردّاً (غريزياً) حين أرتد إلى قواعده السابقة ، القواعد العربية التي لا تتزعزع أبداً . إن مِلل إبراهيم عليه السلام هي الرمز الظاهر لهذا التأمل الشخصي ، فقد سلّط الرسول ناظريه على الكعبة ثانية . ها هي الآن تتوسط الشعائر الاسلامية . إن الحج ومناسكه تخرج عن إهاب الوثنية وتندرج في الدين الجديد . وفي السنوات الأخيرة من الفترة المدنية يستكمل خلقُ النبي وهنا يكتسي الاسلام شكله النهائي .

إن الهجوم المسيحي يميل إلى تصدير الفترة المدينة على أنها فترة الانهيار الداخلي ، حيث تنطفىء جذوة حماس الفكرة المكية تماماً عدّا بعض « . . يلصق ويكيل ألفاظاً لا تليق بالرسول ﷺ » . والمؤلف لا يرى رأي المسيحيين بل يخلص إلى تفسير باقي التشريعات المالية والحدود ثم يختم حديثه ، بأن القرآن لا زال يصدُّق أما حقيقة الرسول فهي هذه الخلفية التاريخية التي قدم لها .

● هذه ـ إذاً ـ هي الرؤية التاريخية . انكار كامل لأخبار العرب والسيرة النبوية ، وتعتيم على كل جانب مضيء ، وهندسة الأحداث هندسة لا تستند إلى أي دليل مادي . لكن صورة القرآن الكريم ليست ذات الصورة لدى سائر الدارسين ، فثمة فئة رأت فيه رأياً آخر إنهم الرومانسيون . فمن هم هؤلاء ؟

« الرومانسيون »

لقد توقفنا قليلاً عند الرومانسية كتيار هبّ على الفكر الأوروبي في أواسط القرن الثامن عشر ، وطبع كثيراً من الاتجاهات الفكرية بطابعه . ولقد سمينا في موضع سابق من هذا البحث اسم المستشرق جورج ياكوب . وقلنا؛ إنه اتخذ من العقلانيين واللغويين وأصحاب منهج الدراسات المقارنة موقفاً مناهضاً . لقد ذهبت به الحال مذهباً أبعد ، حين وصلت علاقته وآلت مع استاذه (EWALD)[24] مآلاً محزناً . فقد تهجم عليهم جميعاً ووصفهم (بحفاري قبور الثقافات) وهو لفظ مستكره . وكان مطلبه الرئيسُ يقوم على الابتعاد عن التدقيق في أصل اللغات والالتفات بدلاً من ذلك إلى الجوانب الجمالية في ثقافات وحضارات الشعوب . ولقد كانت مناداته تلك بمثابة ناقوس خطر في آذان اللغويين .

ومن فيينا التي كانت على اتصال وثيق بجناح آخر من أجنحة الامبراطورية الاسلامية ، جاء صوت قوي ، إنه صوت المستشرق النمساوي الكبير جوزيف فون هامر بورجشتال[24] . فقد مثل بحق مدرسة مستقلة عززت هذا الرأي وسارت بالاستشراق في منعرج آخر . لقد كتب حول القرآن والاسلام من منظور مختلف ، جسم الجمال والعمق والانصاف والموضوعية . وجاء كتابه (تاريخ العرب الأدبي)[25] ليعكس تلك التصورات ، ولكن بكتابات تنطلق من سيرة الرسول والصحابة كما كتبها أصحابها . ولقد أحدث ذلك الكتاب ردود فعل واسعة في أوساط مفكرين ومستشرقين فتح الله بصائرهم على النور فرأوا الجانب المشرق واستطاعوا قراءة السطور وما خلفها قراءة واعية ، فلم يقبلوا عليها بروح إمبريالية تفتش مكامن الضعف والوهن .

---

(23) المصدر السابق / الصفحات من 11 /25 .

(24) مستشرق الماني لغوي 1743- 1781 EWALD, Heinrich .

(25) Purgstall.J. Vonhammer, Geschichte der Arabischen Literatur, Wien 1851.

ولعل أجمل الشهادات التي كتبت حول هـذا العمل الكبـير هي التي سطّرهـا المستشرق الدكتور هـ . فوتكـه في مجلة جمعية المستشـرقين الألمـان . فلقد استهـل مقالته بالمقارنة بين العدد الهائل من العلماء والكتاب والمفسرين والشعراء الذين أرّخ لهم هامر وقارن ساخراً بين ذلـك العدد الهـائل وبـين العدد الـذي تعرفـه الحضارة الأوروبية . ولقد بلغ الذروة في نقده حـين قال : « . . وكم أن غـرورنا كبـير حين يـزعم بعض حكمـائنـا وعقّـالنـا بـأن الاسـلام يقف حجـر عثـرة في طـريق تعلم الشعوب . . . . إنَّ القرآن الكريم والسنّة النبوية يحتويان على ما يفتقر إليه الانجيل والرسائل الحوارية ألا وهو الحض عـلى المعرفـة واكتشاف الآفـاق . . » . ولقد رأى رأينا حين اكتشف ان الشعر الجاهـلي هو الـذي يصور البيئـة العربيـة قبل الاسـلام أفضل تصوير . ولكن البيئة لديه ليست عـاملاً سلبيـاً في الدعـوة ، بل هي صـورة تحمل على روعة الانجاز الاسلامي يقول : « من هنـا خرج محمـد بن عبد الله » . ثم يصف أخلاق محمد وعظمته ، ولأول مرة نسمع بأن بعض القبائل العربية كانت تأكل لحوم البشر . ولشد ما تأخذنا الدهشـة حين يتحـدث عن خصائص الشعـراء وأساليبهم وكأنه انتقل إلى بيدهم ، وعايش قيمهم وعاصر مشاكلهم وعانى منهـا . ولقد استشهد في معرض حديثه عن منزلة القرآن الكـريم وفهم العرب لـه بردِّ ابن عباس على سؤال الأعراب الذين جـاءوا يسألـون فأجـابهم : « حين تسـألونني عن إعجـاز القـرآن الكـريم ، أقـول لكم فـانني (أنصحكم) بـأن تستعينـوا بقـراءة الشعر » . ولقد قرأ المسلمون القـرآن فامتشقـوا سيوفهم . . كـانوا دعـاة اعترضت دعوتهم بالسيف فشهروا سيوفهم . . ولم يكونوا قسيسين ولا رهباناً ولا كهنوتيـين ، ولكن كانوا أصحاب قلب متفتح ، تنفسوا بطلاقة وحرية عن مبدأ لا عن تزمت .

وبور جشتال هذا ، أستاذُ الشاعر الألماني الكبير فـريدريش روكـرت . درس روكرت العربية على يد بورجشتال ، لكن التلميذ سرعان ما أصبح فارساً ، ولفرط إعجابه باستاذه وتأثره بمعانيه ، عمد إلى ترجمة القرآن الكريم ترجمة المانيـة شهد لـه استاذه بها .

ومن الذين كتبوا في نفس الخط الجمالي المستشرقة آنة ماري شِمل ، وعنـوان كتابها « وآنّ محمداً رسول الله » .

وقبل أن نختتم البحث ، نود أن نشير إشارة خـاصة إلى مـا كتبته المستشـرقة الكبيرة سيجريد هونكه في كتابها « العقيدة والمعرفة » . فاشارتها إلى القرآن الكـريم

إشارة حديثة تركز فيه على الجانب العلمي وعلى أثر القرآن الكريم في دفع الحركة العلمية عند العرب .

ومنذ الثمانين 1980 ، ظهرت دراسات حديثة حول ما أسمي « أساليب جديدة لاكتشاف القرآن الكريم » ، وهي دراسة تستحق عناية مستقلة ، ولقد رأينا إرجاءها إلى موعد آخر لنقوم بترجمتها إن شاء الله ترجمة كاملة ، وفي هذه الدراسة رؤى جديدة قد تفتح آفاقاً جديدة نحو فهم أفضل لكتاب الله تعالى ، قد تسدل الستار على كل الأغراض المشبوهة وتقطع الطريق على محاولات خنق كلمة الحق في الأرض . . !!!